مدخـــل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

هذه الدراسة ليست جديدة في تفكيري، ولم تكتمل حدودها وأبعادها الآن، بل إنها تراود ذهني منذ أيام الدراسة الجامعية في أواخر الخمسينات وأوائل الستينات عندما كتبت مخطوطاً عن حياة الصحابي الأنصاري سعد بن معاذ ثم سعد بن عبادة، ثم أسيد بن حضير وطويت هذا المخطوط منذ أعوام طويلة ولم أعد له اطلاقاً. وعندما كنت اتابع دراستي العليا في مصر أول ما تبادر إلى ذهني أن أكتب عن الأنصار، وفعلاً فقد وضعت مخططاً لبحث الماجستير عن هذا الموضوع لكنه لم يجد قبولاً من الأستاذ المشرف، وتوقفت عن الدراسة وقتها لأسباب كثيرة وطويت الموضوع ثانية. عندما نلت شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية عاودني الحنين ثانية إلى الأنصار لأن يكون موضوعاً لنيل شهادة الدكتوراه. عرضت الموضوع على بعض الأخصائيين فنال رضاهم، وكان لقاءً مباركاً مع الأستاذ الفاضل أبو الفتح محمد صغير الدين الذي وافق على الموضوع وأصبح المقرر لرسالة الدكتوراه في جامعة السند، جمهورية باكستان الإسلامية، وعادت المياه إلى مجاريها تصب في بحر الأنصار.

الجديد في الموضوع هو تحول الدراسة من تاريخ الأنصار الذي وجدت فيه أثناء البحث أنني إن دخلت فيه فقد لا أخرج لتشعب الموضوع واتساعه، وكثرة مراجعه والتأليف فيه على الرغم من أن الدافع الأساسي الذي دفعني للكتابة في هذا الموضوع بالذات هو عدم الترابط في الحديث عن الأنصار في معظم كتب التراث،

وحتى لا أتيه أو أمل من كثرة البحث والتقصي وتكرار الحديث في أكثر المراجع فقد تحولت قليلاً جداً الآن للحديث عن

الفكر السياسي عند الأنصار

أو تاريخ الأنصار السياسي

هذا الموضوع يدخل في مجال دراستي من ناحيتين:

الأولى: إجمال الدراسات الإسلامية في موضوع دراستي

والثانية: اتجاهي لدراسة التاريخ الإسلامي والفكر السياسي الإسلامي حولني إلى اختيار هذا النوع من الدراسة.

والفكر السياسي عند الأنصار بحث طويل تنتابه التحولات، وتتيه به الحدود، إلى أن استقر أخيراً في الإسلام. وأصبح فكراً إسلامياً خالصاً لا عوج فيه، حيث لم يثبت أو يظهر أن أنصارياً قد تردد في قبول حكم الله ورسوله، وأيده تضحياتهم اللامتناهية من أجل الإسلام ورسول الإسلام.

إلّا أن الشيء لا يُعرف إلا بضده، فإن قسماً كبيراً من سكان المدنية (الأوس والخزرج وحلفائهم) ـ كما كان بعض قريش ـ قد وجدوا في الإسلام سلباً لمكاسبهم؛ فنتج عن ذلك النفاق الذي استشرى في المدينة. فكان الأنصار والمنافقون من منبت واحد كما كان المهاجرون والكفار من منبت واحد، كما أن اليهود كان لهم كبير الأثر في نماء هذه الظاهرة واستمرارها.

الفكر السياسي عند الأنصار ـ الموضوع الذي نحن بصدده ـ كان بارزاً في شعرهم في الجاهلية واضحاً في شعرهم في الإسلام، فقد انبرى (الشعراء) حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم ليكونوا لسان الدعوة الإسلامية، والمدافعين عنها ضد الحاقدين والمنافقين والكافرين. وتوضح الفكر السياسي عندهم. في حروبهم وفي اتحادهم وفي إسلامهم وفي بيعتهم لأبي بكر، وفي مشاركتهم بكل ما أوتوا من قوة في سبيل تحقيق سيادة الإسلام ووجوده.

لا يمنع الحديث في هذا التوجه الوقوف على الأفكار السياسية التي سبقت الإسلام سواء منها الديني أو السياسي وخاصة الممالك والقبائل والامبراطوريات التي أحاطت بالجزيرة العربية، والتي كان لها تأثيرٌ قريب على فكر الأوس والخزرج وتوجهاتهم قبل الإسلام، ومن ثم تحولهم إلى فكر الإسلام ودولته التي كانت نموذجاً فريداً في تاريخ البشرية قاطبة.

كما أن الحديث لا يقف إزاء التوجهات السياسية فقط فهذه حالة من حياة الشعب وليست كل حالاته، فإذا طغت السياسة على تفكير شعب وصل إلى مرحلة الجدل التي تقود عادة إلى الدمار. ولا يكثر الجدل في هذا الباب إلّا عند فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم حيث يتوجه الحاكم لفرض آراء معينة، أو الأخذ بأسباب القوة التي تقود إلى حب السيطرة والظلم وهذا أمر موثوق معروف في تاريخ الدول والممالك. ولذلك نرى أن الشقة بين الحاكم والمحكوم كلما صغرت كلما توجه الناس إلى أفكار أخرى تختص بالمدنية والحضارة والنفع العام.

من هذا المنطلق نجد أن الثقة المطلقة التي أولاها المسلمون قادتهم؛ وخاصة محبتهم اللامحدودة للرسول ﷺ ـ كما سنقف في بحثنا على بعض الشواهد ـ دليل على أن هذه الثقة هي التي أدت إلى تلك الفتوحات، وتلك الانتصارات. ثم إن الإيمان العميق الذي دخل قلوب المسلمين أوسهم وخزرجهم وقرشييهم قد حولهم من همل مشاع إلى قادة للدنيا . علمائها وساداتها وساستها والقائمين على أمر العباد فيها في فترة لا تعتبر شيئاً إذا قيست بعمر الأمم والشعوب ـ وهذا هو النصر الذي وعد الله به عباده المتقين ـ وهذا هو الاستخلاف الذي أراده الله لعباده المؤمنين في الأرض، وهذا هو الميراث الذي قدره الله تعالى لعباده الأوفياء في أن تكون الأرض بعض ميراثهم.

يطول الحديث ويتشعب عن فكر الإسلام في الحكم ونظريته التي لم يكن لها سابقة في تاريخ البشرية، وتلك القواعد والأسس التي نظمت العلاقة بين الحاكم

والمحكـوم. ومهمـا قلنا فإن السياسة في الإسلام قد حوت من الفكر والتوجهات والحدود ما لا يقدر على حملها إلّا الأوفياء من الناس وهذا هو جيل المسلمين شقه الأول المهاجرون وسائره الأنصار والذين تجلت لديهم معاني التضحية في مواقف رائعة كما سيرد الحديث عنها بعون الله.

ليس فقط التوجه السياسي ونظام الحكم هو المقصود بذاته في هذه الدراسة وإنما هي الحدود التي أقرها الإسلام والتي ما عرفها نظام قبله، ولا عرفتها أفكار الشعـوب، وعنـد التـطبيق الأمثـل أعـطى نتائج مذهلة ما زالت في نظر الباحثين والمؤرخين معجزة قائمة وكلما عاود المسلمون تطبيقها بعودتهم إليها، وعادوا للعمل الجاد بها بنفوس المؤمنين الأتقياء، فإن وعد الله يتكرر ونصره المؤزر يظهر والعاقبة للمتقين.

وأخيراً فقد تحولت فصول البحث إلى كتب منفصلة، أخذ كل واحد منها اسم الفصل الذي يخصه وأرجو الله تعالى أن يوفقنا إلى إخراجه بشكل يجعل القارىء على صلة بين أجزائه للارتباط الوثيق بين كل فصوله وعدم الوقوف على واحد منها.

حسبنا الله ونعم الوكيل وهو المستعان وإليه المآب والحمد لله رب العالمين.

عمّان في ٢٥/ صفر ١٤١٣هـ

١٩٩٢/٨/٢٤م